« الموسيقى ذات الأحذية الممزقة
تحكي عن اصدقائنا
الذين ماتوا في الحرب قبل أن نولد
في المشهد الأول كان البوق
في المشهد الثاني كانوا يركضون
في اتجاه الدبابات الغازية »

والحرب ترتبط بالفقراء، هم وحدهم يحملون اعباءها، ويصبرون على ويلاتها، ويحلمون بمستقبل مشرق يأتي بعدها:

« كان الماضي هادئاً ينتظر الحرب
ولكن المتشردين وحدهم
هم الذين ينتظرون المستقبل »

وهو يؤكد أن الفقراء الذين ينتمي الشاعر إليهم رغم كل عوامل القهر التي يعانونها. يتسلحون بقدرتهم على الصبر، لتأتي لحظة الانفجار:

« إننا نملك القدرة على الجوع
والقدرة على الضحك »

الفقراء عند بندر لا وطن لهم، العالم كله وطنهم، والقضية كل ما فيها مشترك بينهم، ان هنا في الوطن، أو في أي مكان من العالم، فالعذابات واحدة والأحلام مشتركة، ولنستمع إليه كيف يمدّ رؤيته إلى العالم كله، في روعة إنسانية وفنية رائعتين:

« في عينيها صورة غابات افريقيا القديمة
شمس صغيرة من غانا
وشجرة مليئة صيفية
أما إيتا ايدو
هذا هو اسمها المستعار
اسمها الصحيح هو الحرية
حيث ينتصر القلب الحزين على الألم »

القامشلي

هوامش ومصادر البحث:

١ - طبع على مطابع سيلينا - بشامون - بيروت - ١٩٨٠

٢ - سقوبين: قرية من أعمال محافظة اللاذقية في سوريا.

٣ - جارا: مغن تشيلي شعبي قتلته الطغمة العسكرية اثناء الانقلاب على اللندي.

٤ - لبيان أهمية علامات الترقيم ودورها في العمل الأدبي كنت قد أجريت دراسة عن بنيوية القصيدة الحديثة في اعتمادها على علامات الترقيم، وحللت قصائد للشاعرين السوريين محمد عمران وفايز خضور ضمن وعي قصائدهما لعلامات الترقيم (ملحق الثورة الثقافي - العدد ١٣ - السنة الثالثة).

٥ - مطبعة وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٨.

عصافير لمنتهى

نوري الجرّاح

بطاقة

الاسم: منتهى عوض الحوراني
العمر: ١٧ مجزرة
الإقامة: جنين
تاريخ الاستشهاد: جنين/ المتوسط/ الأرض

- على دبابة المحتل أرسم، يا جنين
خريطة ليديك،
أشعل زهرة وأُضيء أغنيتي.
على دبابة المحتل أطبع كفّيَ المُدْماة
اسمي منتهى
وحكايتي...
لو طال سرد حكايتي
وسقطتُ
تكملها السنونوةُ

★ ★ ★

آسر وجهك.
يخطف الماء
يرتدّ عصفورة
آه عصفورة النار
هذا المساء سيشحب في مقلتيك
وتنتفضين رماداً
فأركض نحو الينابيع
أبكي
وأضرب ضدّ التراب
بكلتا يديّ
أمنا الأرض
فجرّي ماءك في يديّ فإني أموت

★ ★ ★

آه عصفورة النار
هذا الصباح يردّ العصافير عن قاعة الدرس مذعورة.
لي شرائطك البيض مغسولة بالدم
لي وظائفك
أي سحر يردّ الفراشة عن منبع الضوء؟
مغسولة بالصباح
مطيّبة بالأزاهير
مُبكرة في الذهاب إلى المدرسة.
غير أن الصباح لدى منتهى

كان شيئاً من الإنتصار
وشيئاً من النار والإحتشاد.
إذا أنشدتْ،
أنشدَ الصمتُ أغنيةً
واستردت عصافير حيفا مفاتيح أصواتها
والصباح الطويل لديها
إذا هبط الليل
يمتد في بيتها ألِفاً.
اتركوها
اتركوا منتهى
حين يسقط ظل السلام على الأرض دبابة
تستمر الزهور
ويحتشد الفتيةُ
الماء في روحهم والعصافير والله والواجب
المدرسيّ
سيكتشفون الحجارة
والركض عبر الأزقة
لكن صفاً من الجند
صفاً من العربات الثقيلة والموت
ماذا تساوي لديه اندفاعة سوسنة؟!
احملوها
احملوا منتهى عالياً،
واهتفوا
منتهى لم تمتْ
إنها تكتب الدرس
إن الوظائف تكثر قبل مجيء العصافير،
في موسم الإمتحانات
وهي تغيب قليلاً
وترجع
ماذا تريدون من منتهى؟
اتركوا عند قلبيَ أسراركم
فقلبي كبير ولا يتسّع
لدبابة.
وفي الفصل كان المعلم يرسم سيفاً على صدره
طالباً من صغار التلاميذ تعيين موقع حيفا على الرسم
لكن جنداً يجيئون
جنداً يروحون
جنداً....
ولو أعتمَ الصبحَ وجهٌ غريبٌ أطلَّ
لعاد المعلم يرسم غمداً ويخفي الخريطه
في السرّ ينمو
وفي الجهر ينكسر الصبح
والأرض تخرج عن صمتها مرّة في الربيع
وتمنح أبناءها قبلة وصباحاً يعطر أجسامهم،
زهرة فوق شاهدة،
وانحناءة خيط من الشمس
ماذا لدى الأرض تمنحنا
غير ما أعطت الأرضُ، يا منتهى؟
غير أن منتهى التي نبشنا
قبرها السماوي أكثر من
مرّة ظلت بعيدة عنا تحلّ
ضفيرتها في الماء وتركض
إلى أمها:
- ماما.. ماما.. لقد استحممت
في النهر
لم تك تجرؤ على خلع ثوبها
لأن العصافير كانت تراها.
يا منتهى
مرّت جنازير الغزاة
على جديلتك السنية،
في الزمان المرّ،
فانتسبتْ إليكِ الجزره
وتوافدتْ سحب المساء
تكاثفتْ
«وجنينُ» تختصر الجنينَ إلى الرجولة والعراك
عشرون سوسنة تلوذ
بحمى جراحي
والسهول حجارة وبنادق وهوى يشدّ قوامه
يا منتهى
كيف اصطفاكِ النهر قبل الموعدِ
كيف اصطفاك النهر قبل اللحظة الزرقاء
من عمر المياه الراعشه؟
كيف اصطفاك النهر قبل ولادة الطيران
في لحم الطيور الواعده
هجرتْكِ طائفة من الجندِ
ابتسمتِ
وحين قرّبكِ الصباح من الندى
اجهشتِ
قلت:
سيرجع الموتى وأفقدُ ما تبقّى من عصافير السماء.
يا قصبة لشجون عصفور تطارده البنادق
أينما وقفتْ به الأشجار
أسرجتُ خيل الأرضِ
فانتفضي
صدئتْ جنازير الوجوه المكفهرة
تمتمي صلواتكِ
«تموز» آب
فكيف لا نهر يؤوب؟
«تموز» آب
فكيف للأطفال أن يبقوا عرايا؟
«تموز» آب
فلا إياب
لا إياب قبل قذف حجارة الأطفال
في وجه الغزاة الفاتحين
كان بوسعنا أن نبكي أو نبتسم
كما كان بوسعنا أن نفتح الباب
خلسة لنطمئن على طفولتنا
غير أن منتهى التي استطاعت
أن تتسلل إلى منضدتنا في القبو البارد، لتشاركنا جلسة الشاي تركت كوبها ممتلئاً
وانسحبت بينما راح كل منا ينظر في الآخر
من سيشرب أولاً!)

دمشق

★ تموز: إله الخصب عند قدماء البابليين.